أسرار صعود ابن سلمان وحياته المليئة بالتهور والبطش



نشر حساب "خط البلدة" المعارض تحقيقا يكشف أسرار صعود ولي العهد محمد بن سلمان وحياته المليئة بالاضطرابات والقلق والخوف من جهة وبالتهور والبطش من جهة أخرى.

وتحت اسم "كيف صُنع محمد بن سلمان؟" تناول التحقيق أسرار من ماضي نشأة محمد بن سلمان، وقصة تمتد لأكثر من 20 سنة بما في ذلك من أسرار مليئة بالغرائب والحقائق الخفية.

وفي يناير/كانون الثاني 2015، كان الملك عبد الله البالغ من العمر 90 عاما، يحتضر في المستشفى، وكان أخوه غير الشقيق سلمان على وشك أن يصبح ملكا ـــ وكان ابن سلمان المفضل محمد بن سلمان يستعد لتولي السلطة.

وبحسب التحقيق كان محمد بن سلمان الذي كان يبلغ من العمر آنذاك 29 عاما فقط، يملك خططًا كبيرة لمملكته، وهي أكبر الخطط في تاريخها.

لكنه كان يخشى أن يتحرك المتآمرون داخل عائلته المالكة السعودية ضده في نهاية المطاف، لذا في منتصف ليل أحد أيام ذلك الشهر، استدعى مسؤولا أمنيا كبيرا إلى القصر، عازماً على كسب ولائه.

وأمر المسؤول، وهو سعد الجبري، بترك هاتفه المحمول على طاولة بالخارج، وفعل محمد بن سلمان الشيء نفسه، وأصبح الرجلان الآن بمفردهما، وكان الأمير الشاب خائفا للغاية من جواسيس القصر لدرجة أنه سحب المقبس من الحائط، ففصل الهاتف الأرضي الوحيد في الغرفة.

ووفقا للجبري، تحدث محمد بن سلمان بعد ذلك عن كيفية إيقاظ مملكته من سباتها العميق، والسماح لها بأخذ مكانها الصحيح على الساحة العالمية، وكيف سيفصل اقتصاده عن اعتماده على النفط من خلال بيع حصة في شركة أرامكو النفطية الحكومية، الشركة الأكثر ربحية في العالم.

وذلك ليستثمر مليارات الدولارات في شركات ناشئة في مجال التكنولوجيا في وادي السيليكون، بما في ذلك شركة سيارات الأجرة أوبر، ثم من خلال منح النساء السعوديات الحرية في الانضمام إلى القوى العاملة، سيخلق ستة ملايين وظيفة جديدة.

اندهش الجبري وسأل الأمير عن مدى طموحه، فأجابه ببساطة: "هل سمعت عن الإسكندر الأكبر؟".

وأنهى محمد بن سلمان المحادثة هنا، بعد استمر اجتماع منتصف الليل الذي كان من المقرر أن يستمر نصف ساعة لمدة ثلاث ساعات.

غادر الجبري الغرفة ليجد مكالمات عدة فاتته على هاتفه المحمول من زملاء في الحكومة قلقين بشأن اختفائه الطويل.

تحكي هذه القصة عن الصعود الاستثنائي للسلطة للرجل الذي يحكم المملكة والذي تؤدي سيطرته على النفط الى التأثير على الجميع، بدءًا من كيفية ضمان تفوقه على مئات المنافسين ليصبح وليًا للعهد.

كان فريقنا الوثائقي يتحدث إلى أصدقاء ومعارضين سعوديين لمحمد بن سلمان على مدار العام الماضي، فضلاً عن كبار الجواسيس والدبلوماسيين الغربيين، وقد أتيحت للحكومة السعودية الفرصة للرد على الادعاءات الواردة في أفلام بي بي سي وفي هذه المقالة، لكنهم اختاروا عدم القيام بذلك.

كان سعد الجبري في مرتبة عالية في جهاز الأمن السعودي لدرجة أنه كان صديقًا لرؤساء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وجهاز الاستخبارات البريطاني.

وبالرغم من قيام الحكومة السعودية بوصف الجبري على مسؤول سابق لا يمكن الوثوق فيما يقول، فهو أيضًا المعارض السعودي الأكثر اطلاعًا الذي تجرأ على التحدث عن كيفية حكم ولي العهد للمملكة – والمقابلة النادرة التي أجراها معنا مدهشة في تفاصيلها.

من خلال الوصول إلى العديد من الأشخاص الذين يعرفون الأمير شخصيًا، نلقي ضوءًا جديدًا على الأحداث التي جعلت محمد بن سلمان سيئ السمعة – بما في ذلك مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي في عام 2018 وشن حرب مدمرة في اليمن.

أصبح محمد بن سلمان البالغ من العمر 38 عامًا الآن مسؤولًا بحكم الأمر الواقع عن مهد الإسلام وأكبر مصدر للنفط في العالم مع تزايد ضعف والده.

لقد بدأ في تنفيذ العديد من الخطط الرائدة التي وصفها لسعد الجبري – بينما يُتهم أيضًا بانتهاكات حقوق الإنسان بما في ذلك قمع حرية التعبير والاستخدام الواسع النطاق لعقوبة الإعدام وسجن ناشطات حقوق المرأة.

بداية غير مواتية:

أنجب الملك الأول للمملكة العربية السعودية 42 ابنًا على الأقل، بما في ذلك والد محمد بن سلمان، سلمان.

تقليديا، كان التاج ينتقل بين هؤلاء الأبناء، وتم ترقية سلمان إلى خط الخلافة فجأة عندما توفي اثنان منهم فجأة في عامي 2011 و 2012.

تعطي وكالات التجسس الغربية اولوية لدراسة من سيكون الملك القادم للسعودية، وفي هذه المرحلة، كان محمد بن سلمان صغيرًا وغير معروف لدرجة أنه لم يكن حتى على رادارهم.

يقول السير جون ساورز، رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية البريطاني (إم آي 6) حتى عام 2014: "لقد نشأ في بيئة منعزلة نسبيا، ولم يكن من المتوقع أن يصل إلى السلطة".

كما نشأ ولي العهد في قصر حيث كانت عواقب السلوك السيئ قليلة، إن وجدت؛ وقد يساعد ذلك في تفسير عادته السيئة المتمثلة في عدم التفكير في تأثير قراراته حتى يتخذها بالفعل.

اكتسب محمد بن سلمان شهرة لأول مرة في الرياض في أواخر مراهقته، عندما أطلق عليه لقب "أبو رصاصة"، بعد أن أرسل رصاصة في البريد إلى قاضٍ كان قد نقض حكمه في نزاع على الممتلكات.

ويلاحظ السير جون ساورز: "لقد كان لديه قدر معين من القسوة. إنه لا يحب أن يُعصَب. لكن هذا يعني أيضًا أنه كان قادرًا على دفع التغييرات التي لم يتمكن أي زعيم سعودي آخر من القيام بها".

من بين التغييرات الأكثر ترحيبًا، كما يقول رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية السابق، قطع التمويل السعودي عن المساجد والمدارس الدينية في الخارج التي أصبحت أرضًا خصبة للجهادية الإسلامية – مما يعود بفائدة كبيرة على سلامة الغرب.

والدة محمد بن سلمان، فهدة، هي امرأة من قبيلة بدوية ويُنظر إليها على أنها المفضلة بين زوجات والده الأربع.

ويعتقد الدبلوماسيون الغربيون أن الملك عانى لسنوات عديدة من شكل بطيء من الخرف الوعائي؛ وكان محمد بن سلمان هو الابن الذي لجأ إليه طلبا للمساعدة.

استذكر العديد من الدبلوماسيين لقاءاتهم مع محمد بن سلمان ووالده.

كان الأمير يكتب ملاحظات على جهاز iPad، ثم يرسلها إلى جهاز iPad الخاص بوالده، كوسيلة لتحفيزه على ما سيقوله بعد ذلك.

يتذكر اللورد كيم داروش، مستشار الأمن القومي لديفيد كاميرون عندما كان رئيس وزراء بريطانيا: "بلا شك تساءلت عما إذا كان محمد بن سلمان يكتب سطوره نيابة عنه".

من الواضح أن الأمير كان غير صبور للغاية ولم يشاء الصبر على ان يصبح والده ملكًا لدرجة أنه اقترح في عام 2014 قتل الملك آنذاك – عبد ا، عمه – بخاتم مسموم حصل عليه من روسيا.

يقول سعد الجبري: "لا أعرف على وجه اليقين ما إذا كان يتفاخر فقط، لكننا أخذنا الأمر على محمل الجد".

ويقول مسؤول الأمن الكبير السابق إنه شاهد مقطع فيديو مسجل سراً لمحمد بن سلمان وهو يتحدث عن الفكرة "لقد مُنع من دخول الديوان، ومن مصافحة الملك، لفترة طويلة من الزمن".

وقد توفي الملك لأسباب طبيعية في النهاية، مما سمح لشقيقه سلمان بتولي العرش في عام 2015، وتم تعيين محمد بن سلمان وزيراً للدفاع ولم يضيع أي وقت في الذهاب إلى الحرب.

الحرب في اليمن:

بعد شهرين، قاد محمد بن سلمان تحالفًا خليجيًا إلى حرب ضد حركة الحوثيين، التي سيطرت على جزء كبير من غرب اليمن والتي اعتبرها وكيلًا لمنافسة المملكة العربية السعودية الإقليمية إيران، وقد تسبب ذلك في كارثة إنسانية، حيث أصبح الملايين على شفا المجاعة.

يقول السير جون جينكينز، الذي كان سفيرًا لبريطانيا قبل بدء الحرب مباشرة: "لم يكن قرارًا ذكيًا. أخبرني أحد كبار القادة العسكريين الأميركيين أنهم تلقوا إشعارًا قبل 12 ساعة من الحملة، وهو أمر غير مسبوق".

وقد ساعدت الحملة العسكرية في تحويل أمير غير معروف إلى بطل وطني سعودي، ومع ذلك، كانت أيضًا أول

ما يعتقد حتى أصدقاؤه أنه كان العديد من الأخطاء الكبرى.

بدأ نمط متكرر من السلوك في الظهور: ميل محمد بن سلمان إلى التخلص من النظام البطيء والجماعي التقليدي لصنع القرار السعودي، مفضلاً التصرف بشكل غير متوقع أو بناءً على اندفاء؛ ورفض الخضوع للولايات المتحدة، أو التعامل معه كرئيس لدولة عميلة متخلفة.

ويذهب الجبري إلى أبعد من ذلك، إذ يتهم محمد بن سلمان بتزوير توقيع والده الملك على مرسوم ملكي يقضي بإرسال قوات برية إلى اليمن.

ويقول الجبري إنه ناقش حرب اليمن في البيت الأبيض قبل أن تبدأ؛ وأن سوزان رايس، مستشارة الأمن القومي للرئيس أوباما، حذرته من أن الولايات المتحدة لن تدعم سوى حملة جوية.

ومع ذلك، يزعم الجبري أن محمد بن سلمان كان مصمماً على المضي قدماً في اليمن لدرجة أنه تجاهل الأميركيين.

ويقول الجبري: "لقد فوجئنا بصدور مرسوم ملكي يسمح بالتدخلات البرية. لقد زور توقيع والده على هذا المرسوم الملكي. وكانت القدرة العقلية للملك تتدهور".

ويضيف أن مصدر هذا الادعاء كان "وموثوقاً به" ومرتبطاً بوزارة الداخلية حيث كان رئيساً للأركان.

ويتذكر الجبري أن رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في الرياض أخبره بمدى غضبه من تجاهل محمد بن سلمان للأميركيين، مضيفاً أن غزو اليمن لم يكن ينبغي أن يحدث أبداً.

ويقول رئيس جهاز الاستخبارات البريطاني السابق السير جون ساورز إنه في حين أنه لا يعرف ما إذا كان محمد بن سلمان قد زور الوثائق، "فمن الواضح أن هذا كان قرار محمد بن سلمان بالتدخل عسكرياً في اليمن. لم يكن قرار والده، على الرغم من أن والده كان منخرطًا في هذا القرار".

لقد اكتشفنا أن محمد بن سلمان رأى نفسه من الخارج منذ البداية – شاب لديه الكثير ليثبته ويرفض طاعة قواعد أي شخص بخلاف قواعده الخاصة.

تقول كيرستن فونتينروز، التي عملت في مجلس الأمن القومي للرئيس دونالد ترامب، إنها عندما قرأت الملف النفسي الداخلي لوكالة المخابرات المركزية للأمير، شعرت أنه لم يكن على اطلاع كاف على الأمير.

وتقول: "لم تكن هناك نماذج أولية يمكن الاعتماد عليها. لقد كان لديه موارد غير محدودة ولم يُقال له أبدًا "لا". إنه أول زعيم شاب يعكس جيلًا معظمنا في الحكومة أكبر سنًا من أن نفهمه بصراحة".

إن شراء محمد بن سلمان للوحة شهيرة في عام 2017 يخبرنا بالكثير عن طريقة تفكيره، واستعداده للمجازفة، وعدم خوفه من الخروج عن مسار المجتمع المحافظ دينياً الذي يحكمه، وفوق كل شيء، تصميمه على التفوق على الغرب في العروض الواضحة للقوة.

فقد ورد أن أميراً سعودياً يعمل لصالح محمد بن سلمان أنفق 450 مليون دولار (350 مليون جنيه إسترليني) على لوحة سالفاتور موندي، التي تظل أغلى عمل فني تم بيعه على الإطلاق في العالم في عام 2017.

تصور اللوحة، التي يقال إنها من رسم ليوناردو دافنشي، السيد المسيح سيد السماء والأرض، مخلص العالم، وقد اختفت اللوحة تماما منذ ما يقرب من سبع سنوات.

يقول برنارد هيكل، صديق ولي العهد وأستاذ دراسات الشرق الأدنى بجامعة برينستون، إنه على الرغم من الشائعات التي تقول إنها معلقة في يخت الأمير أو قصره، فإن اللوحة موجودة في الواقع في مخزن في جنيف وأن محمد بن سلمان ينوي تعليقها في متحف في العاصمة السعودية لم يتم بناؤه بعد.

ونقل هيكل عن محمد بن سلمان قوله: "أريد بناء متحف كبير جدًا في الرياض، وأريد شيئًا رئيسيًا يجذب الناس، تمامًا مثل الموناليزا".

وتعكس خططه ولي العهد السعودي للرياضة شخصًا طموحًا للغاية ولا يخشى تعطيل الوضع الراهن.

لقد تم وصف الإنفاق المذهل للمملكة على الرياضة من الطراز العالمي – فهي صاحبة العرض الوحيد لاستضافة كأس العالم لكرة القدم في عام 2034، واستثمرت بملايين الدولارات في تنظيم بطولات التنس والجولف – بأنه "غسيل رياضي"، ولكن ما وجدناه هو زعيم لا يهتم بما يعتقده الغرب عنه بقدر ما يهتم بإظهار العكس: أنه سيفعل ما يريد باسم جعل نفسه والسعودية عظيمة.

يقول السير جون ساورز، رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية السابق، الذي التقى به: "يهتم محمد بن سلمان ببناء قوته كزعيم. والطريقة الوحيدة التي يمكنه من خلالها القيام بذلك هي بناء قوة بلاده. هذا ما يدفعه".

لم تنج مسيرة الجبري التي استمرت 40 عامًا كمسؤول سعودي من توطيد محمد بن سلمان لسلطته، فقد فر من المملكة عندما تولى محمد بن سلمان منصبه، بعد أن أبلغته إحدى أجهزة الاستخبارات الأجنبية أنه قد يكون في خطر، لكن الجبري يقول إن محمد بن سلمان أرسل له رسالة نصية فجأة، وعرض عليه وظيفته القديمة مرة أخرى.

ويقول الجبري "لقد كانت طُعمًا – ولم أقع في الفخ"، مقتنعًا بأنه كان سيُعذب أو يُسجن أو يُقتل إذا عاد. وقد تم اعتقال أبنائه المراهقين عمر وسارة، الذين سجنا فيما بعد بتهمة غسيل الأموال ومحاولة الهرب ـــ وهي التهم التي ينفيانها، وقد دعت مجموعة العمل التابعة للأمم المتحدة المعنية بالاحتجاز التعسفي إلى إطلاق سراحهما.

ويقول الجبري: "لقد خطط لاغتيالي، ولن يرتاح حتى يراني ميتاً، ولا شك لدي في ذلك".

وقد أصدر المسؤولون السعوديون إخطارات إلى الإنتربول لتسليم الجبري من كندا، ولكن دون جدوى، وهم يزعمون أنه مطلوب بتهمة الفساد الذي يشمل مليارات الدولارات أثناء فترة عمله في وزارة الداخلية.

ومع ذلك، فقد مُنح رتبة لواء، ونسبت إليه وكالة المخابرات المركزية الأميركية وجهاز الاستخبارات البريطاني الفضل في مساعدته على منع الهجمات الإرهابية التي يشنها تنظيم القاعدة.

قتل خاشقجي:

يورط مقتل جمال خاشقجي في القنصلية السعودية في إسطنبول عام 2018 محمد بن سلمان بطرق يصعب دحضها.

كانت فرقة الاغتيال المكونة من 15 فردًا قد سافرت بجوازات سفر دبلوماسية وتضمنت العديد من حراس محمد بن سلمان الشخصيين، ولم يتم العثور على جثة خاشقجي أبدًا ويُعتقد أنها قُطِّعت إلى قطع بمنشار عظام.

تبادل البروفيسور هيكل رسائل WhatsApp مع محمد بن سلمان بعد فترة وجيزة من القتل ويتذكر هيكل: "كنت أسأل، كيف حدث هذا؟" ويضيف "أعتقد أنه كان في حالة صدمة عميقة. لم يدرك أن رد الفعل على هذا سيكون عميقًا".

التقى دينيس روس بمحمد بن سلمان بعد ذلك بفترة وجيزة. يقول روس: "قال إنه لم يفعل ذلك وأنه كان خطأ فادحًا. أردت بالتأكيد أن أصدقه، لأنني لم أستطع أن أصدق أنه يمكنه التصريح بشيء [مثل] ذلك".

لقد نفى محمد بن سلمان دائمًا معرفته بالمؤامرة، على الرغم من أنه قال في عام 2019 إنه يتحمل "المسؤولية" لأن الجريمة حدثت في عهده.

وأكد تقرير استخباراتي أمريكي تم رفع السرية عنه في فبراير 2021 أنه كان متواطئًا في مقتل خاشقجي.

سألت أولئك الذين يعرفون محمد بن سلمان شخصيًا عما إذا كان قد تعلم من أخطائه؛ أو ما إذا كان نجاته من قضية خاشقجي قد شجعته في الواقع.

يقول البروفيسور هيكل إن محمد بن سلمان يستاء من استخدام القضية كهراوة ضده وضد بلاده، لكن جريمة قتل مثل خاشقجي لن تحدث مرة أخرى: "لقد تعلم الدروس بالطريقة الصعبة".

ويتفق السير جون ساورز بحذر على أن القتل كان نقطة تحول. "أعتقد أنه تعلم بعض الدروس. ومع ذلك، تظل الشخصية كما هي".

إن والده الملك سلمان يبلغ من العمر الآن 88 عامًا. وعندما يموت، قد يحكم محمد بن سلمان المملكة لمدة 50 عامًا قادمة، ومع ذلك، فقد اعترف مؤخرًا بأنه يخشى أن يتم اغتياله، ربما كنتيجة لمحاولاته تطبيع العلاقات السعودية الإسرائيلية.

يقول البروفيسور هيكل: "أعتقد أن هناك الكثير من الناس الذين يريدون قتله، وهو يعرف ذلك".

اليقظة الأبدية هي وسيلة للمحافظة على سلامة رجل مثل محمد بن سلمان، وهذا ما لاحظه سعد الجبري في بداية صعود الأمير إلى السلطة، عندما سحب مقبس الهاتف من الحائط قبل التحدث إليه في قصره.

لا يزال محمد بن سلمان رجلاً في مهمة لتحديث بلاده، بطرق لم يجرؤ أسلافه على القيام بها، لكنه ليس أيضًا أول مستبد يخاطر بأن يكون قاسيًا لدرجة أن لا أحد من حوله يجرؤ على منعه من ارتكاب المزيد من الأخطاء.